هجرة اليهود السوفيات والسياسة الاسرائيلية الرسمية

فيما العالم يتابع، باهتمام وترقّب، أخبار اعلان الوحدة الالمانية، باعتبارها علامة فارقة في تاريخ اوروبا الحديث؛ وفيما تطوّرات أزمة الخليج ما زالت تتأرجح بين احتمالات الحل العسكري، الذي قد يضع المنطقة، بأكملها، على شفير حرب مدمّرة شاملة، والحل السياسي الذي سيعيد، على الأغلب، اشكالاً مقيتة من الاستعمار الغربي، توهّم البعض، لفترة، انها قد غابت نهائياً؛ تواصل اسرائيل ممارسة أقسى أشكال القمع العنصري ضد الانتفاضة الفلسطينية في المناطق المحتلة، وتستقبل، في الوقت عينه، عشرات الآلاف من المهاجرين السوفيات كل شهر. وتشكّل موجة الهجرة الكثيفة، هذه، من الاتحاد السوفياتي، أحد اهمّ انجازات حكومة الليكود الحالية، انْ لم تكن أهمّها اطلاقاً، على الرغم من انها جاءت نتيجة جهود سياسية مكثّفة قامت بها حكومة «الوحدة الوطنية» السابقة، منذ العام ١٩٨٧. فقد شهدت تلك السنة اتصالات ومفاوضات سرية بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي أدّت، ضمن أمور أخرى، الى التوقيع، في العام ١٩٨٩، على أول اتفاقية تجارية وعلمية بين البلدين، منذ العام ١٩٦٧. الاّ ان المكاسب التي استهدفها كل منهما كانت أبعد أثراً. فقد اتّضح ان الاتحاد السوفياتي كان مقتنعاً بأن اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الاميركية يتحكّم، الى حدّ بعيد، في صناعة القرار السياسي الاميركي، وبالتالي يمكن الاستفادة منه في مجال التسهيلات التجارية، والتموينية، الضرورية لانجاح سياسة ميخائيل غورباتشيوف الانفتاحية؛ في حين تطلّعت اسرائيل الى فتح الاسواق السوفياتية أمام المنتجات والصناعات الاسرائيلية، بالاضافة الى تبادل الخبرات العلمية والتقنية. امّا نقطة التقاء المصالح، فكانت بفتح أبواب الهجرة من الاتحاد السوفياتي أمام عشرات الآلاف من اليهود الراغبين في مغادرة المعسكر الاشتراكي الى دول الاقتصاد الحرّ. وقد أشارت تصريحات عدد من المسؤولين الاميركيين، في الفترة الاخيرة، الى ان حصول الاتحاد السوفياتي على تسهيلات تجارية وائتمانية من الولايات المتحدة الاميركية مشروط بمدى السماح بحرية الهجرة لمن يرغب في مغادرة موطنه الاصلي في دول الكتلة الشرقية. وفي الوقت عينه، تلقّت الجهات الاميركية المعنيّة أخباراً، اهتمت اسرائيل بتسريبها، مفادها ان اعداداً كبيرة من المهاجرين اليهود السوفيات يتوقع ان يغادروا الاتحاد السوفياتي بوتيرة قد تعجز الولايات المتحدة الاميركية عن استيعابها. ورافق ذلك ترويج اشاعات وأخبار داخل الاتحاد السوفياتي عن تنامي أجواء العداء للسامية، وازدياد حوادث التعرّض الى اليهود وممتلكاتهم، والاعتداء عليهم. وعلى الاثر، سارعت الولايات المتحدة الاميركية الى فرض قيود على الهجرة اليها، وأنهت الحق شبه التلقائي في دخول اليهود السوفيات، كلاجئين، الى اميركا، وحدّدت سقفاً لا يتجاوز الخمسين ألفاً لطلبات تأشيرة الدخول من الاتحاد السوفياتي، بمن في ذلك الجماعات الاخرى من غير اليهود. وخلافاً لما هو متوقّع، ولما كان يحدث دائماً، من قبل، في حالات مشابهة، فان الجمعيات والمؤسسات والمنظمات اليهودية المختلفة في الولايات المتحدة الاميركية لم تبد أية معارضة لهذا الاجراء من جانب الادارة الاميركية. وبالنتيجة، فان اليهود الراغبين في مغادرة الاتحاد السوفياتي، لأسباب اقتصادية واجتماعية ومهنية متعدّدة، لم يجدوا أمامهم سوى أبواب اسرائيل، مفتوحة لاستيعابهم. على ان تدفّق الهجرة بهذه الاعداد الكبيرة حمل، في طيّاته، تحديات ومشاكل للدولة العبرية، التي يبدو انها فوجئت هي، أيضاً، بحجم هذه الهجرة واسعة النطاق.

احصاءات وأرقام

مع نهاية السنة العبرية ٥٧٥٠ (١٩٨٩/١٩٩٠)، تناقلت الصحف الاسرائيلية الأرقام